

الاحتلال الإيطالي لواحة الكفرة الليبية يناير 1931م وفقاً لوثائق الخارجية المصرية

د. مفتاح بلعيد غويطة⁽¹⁾

ملخص البحث:

تتناول هذه الدراسة وصفاً لمحتوى وثائق تستخدم لأول مرة في بحث أكاديمي، تحتفظ بها دار الوثائق القومية بالقاهرة ضمن وثائق وزارة الخارجية المصرية غير المنشورة، والمحفوظة ضمن وثائق الدار. وتتعلق هذه الوثائق بالاحتلال الإيطالي للكفرة يناير 1931م، مشتملاً على تفاصيل لمعلومات سبقت هذا الحدث وأخرى عن النتائج والآثار المترتبة عليه، إضافة لمواقف مصر وبعض الأطراف الأخرى من قضية النازحين واللاجئين الليبيين من أهالي الكفرة، الذي وصل بعضهم إلى الواحات المصرية الجنوبية والغربية هرباً من جحيم الفظائع الإيطالية التي ارتكبت في الكفرة وما جاورها من مناطق.

وضعت الوثائق ضمن ملف عرف باسم ملف احتلال الكفرة، لكن الوثائق بالملف لم تكن مصنفة أو مرتبة، أغلبها عبارة عن إفادات مكتوبة بخط اليد أو مكتوبة بالآلة الكاتبة وخاصة الرسائل والتقارير المتبادلة حول القضية بين مسؤولي الحكومة المصرية ذوي الاختصاص أو بين أولئك المسؤولين ونظرائهم في الحكومة الإيطالية والسودانية وهي الدول التي كانت معنية مباشرة بالحادثة وما ترتب عليها من نتائج.

قسمت الدراسة إلى مقدمة وخلاصة ومبحثين، اهتم أولهما بالوثائق الرسمية في ملف الكفرة، وعنى الآخر بالوثائق الأهلية أو الخاصة. واعتمدت بشكل رئيسي على الوثائق المعنية كمصادر للمعلومات، وتوصلت إلى نتيجة مفادها أهمية هذه الوثائق في دراسة التاريخ الليبي في تلك الفترة، ومعرفة حقيقة المحنة التي عايشها أهالي الكفرة تحت الاحتلال الإيطالي.

(1) - أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المشارك، قسم التاريخ كلية الآداب الخمس - جامعة المرقب

مقدمة:

الكفرة واحة ليبية تقع في الركن الجنوبي الشرقي من ليبيا، وتبعد حوالي 800 كم عن مدينة بنغازي، وتبدو أهميتها في أنها واحة تقع في جوف الصحراء، وتشكل ملتقى لطرق القوافل الآتية من تشاد والنيجر والسودان، والمتجهة نحو الشمال حيث واحات جالو وأوجلة واجخرة وسيوة، أو المتجهة نحو الغرب حيث واحات فزان⁽¹⁾.

ازداد اعتماد المجاهدين علي الواحة وخاصة بعد أن سيطرت القوات الإيطالية على واحة الجغبوب في فبراير 1926م، وأحكمت سيطرتها على منافذ الحدود البرية مع مصر بشكل يكاد يكون تاماً بالتعاون مع السلطات المصرية. لذا فإن الجنرال رودلفو غراسياني Rodolfo Graziani قائد القوات الإيطالية في الجبل الاخضر 1930/1931م رأى بجنكته العسكرية أن مراقبة الحدود المصرية الليبية الجوية والبرية لم تؤت ثمارها وإلى حد بعيد؛ فالمجاهدون يستمرون في المقاومة وبشكل أكثر عنفاً وقوة، ومن ثم باتت لدية فرضية وصول الإمداد للجبل من الجنوب فرضية صحيحة، وبالتالي كانت عملية احتلال الكفرة وما جاورها من واحات ومناطق استراتيجية مهمة، بدأت في صيف 1930م وانتهت في يناير 1931م. والذي جاء ليدق آخر مسمار في نعش المقاومة بجرمانها من أهم مصادر الإمداد الجنوبية.

كان قصف الطائرات والمدفعية الإيطالية لواحة الكفرة عنيفاً جداً، طال تجمعات المجاهدين والأهالي، وطال الشجر والحجر، وبالتالي أدرك سكان الكفرة وما جاورها أن الهلاك سيكون بالبقاء في قراهم ومساكنهم، ومن ثم فروا شرقاً وجنوباً، باتجاه مصر والسودان.

وهذه الدراسة تنطلق من أهمية الكم الهائل من التقارير والإفادات والإحصائيات التي عثر عليها صاحب الدراسة في دار الوثائق القومية بالقاهرة عن حادثة احتلال واحة الكفرة، مما استرعى دراستها دراسة مستفيضة، ومحاولة إضافة شيء جديد عن احتلال القوات الإيطالية لواحة الكفرة في 20 يناير 1931م. الوثائق المعنية وثائق غير مرقمة أو مصنفة، تقع في ملف كبير يحمل عنوان احتلال الكفرة، يرمز إليه بالكود الأرشيفي رقم 011561-0078، وهذا الملف محفوظ ضمن وثائق وزارة الخارجية المصرية غير المنشورة بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

وإذا كانت دراسة هذه الوثائق تُعد قضية من الأهمية بمكان لموضوع الاحتلال الإيطالي لواحة الكفرة وما ترتب عليه من نتائج وتطورات فإنها تطرح تساؤلاً مفاده ما مضمون هذه الوثائق؟، وما أهميتها عند التصدي لدراسة الاحتلال الإيطالي للكفرة بشكل خاص، ولدراسة حركة المقاومة الليبية المسلحة في تلك الفترة بشكل عام؟.

قد يكون من السهل دراسة موضوع الاحتلال الإيطالي لواحة الكفرة من خلال جزئياته أو كلياته، وفق محاور محددة، لكن المسألة تكون بالغة التعقيد عندما يتم دراسة موضوع كهذا من خلال تناول الوثائق التي اختصت به، وتحتفظ بها دار الوثائق القومية، فالوثائق متداخلة المحتويات ومتشابكة المسارات، فوضع الأمر أمامنا خيارات عدة، هل نكتفي بالتسلسل التاريخي لتلك الوثائق؟، أم نكتفي بالموضوعات التي تناولتها تلك الوثائق؟، أم نضع محاور من تلقاء أنفسنا، ونحاول أن نبوب الوثائق وفق تلك الموضوعات؟. لقد ارتأينا أن نصف الوثائق من خلال طبيعة الموضوع الذي

تضمنته، ثم نستعرض محتوياتها مع مراعاة التسلسل التاريخي والمنطقي للأحداث قدر الإمكان. ونختتم الحديث بملخص موجز لأهمية هذه الوثائق في دراسة أحداث تلك الفترة من تاريخ ليبيا.

أولاً: الوثائق الرسمية:

وهي الوثائق الصادرة عن شخصيات مسئولة في الحكومتين المصرية والإيطالية، وتضمنها ملف الكفرة بخصوص الأحداث. ووفق التسلسل التاريخي يصادف المتصفح للوثائق المعنية في هذا الجانب منشور مارشال إيطاليا المركزي دلسا بوتينو بيترو بادوليو **Marquis Delsa Bottineau Pietro Badoglio** والي قطري طرابلس وبنغازي المعمم على أهالي وسكان الكفرة من قبيلة الزوية وغيرهم بتاريخ 10 ربيع الآخرة 1349هـ/ 4 سبتمبر 1930م، حيث دعا فيه سكان واحة الكفرة للتعاون مع الإيطاليين وعدم الاستماع للمحرضين على القتال، مشدداً على أن الكفرة ستنعم بالتطور المنشود في حالة إعلان سكانها الخضوع للدولة الإيطالية، مبيناً أن الحكومة الإيطالية ليست بعاجزة عن إرسال قوة عسكرية لاحتلال الواحة بالقوة⁽²⁾.

هذه كانت تمثل أولى الاستعدادات الإيطالية لاحتلال الواحة بطريقة سلمية بعيدة عن المواجهة المباشرة مع أهاليها، وربما كانت الحكومة الإيطالية تأمل في أن يعلن أهالي الكفرة والمناطق المجاورة لها الخضوع التام للدولة الإيطالية، دون أن تكلف الأخيرة نفسها عناء إرسال قوات عسكرية، وتتكدس خسائر مالية وبشرية هائلة في مناطق صحراوية مجهولة، قد تعصف النتائج السلبية المترتبة في حالة الفشل بالوجود الإيطالي في ليبيا برمته.

لكن السياسة الإيطالية تبدلت بعد هذا المنشور، وخاصة مع تصاعد استعدادات المجاهدين للمقاومة، واتخاذهم خطوات عملية من أجل ذلك. ففي رسالة إخبارية ومؤرخة على الأرجح في أواخر أكتوبر 1930م أرسلها مأمور واحة سيوة إلى محافظ الصحراء الغربية المصري أكد فيها على قيام الطائرات الإيطالية بإلقاء حوالي ثمانين قنبلة على مناطق متفرقة من واحة الكفرة، وبُعيد مدة من الزمن قامت أربع طائرات إيطالية بالتحليق في سماء الكفرة، وألقت مناشير على الأهالي، في وقت كان فيه زعيما المقاومة عبد الجليل سيف النصر وصالح لطيشو يبذلان مساعيهم من أجل جمع المقاتلين؛ للتصدي للإيطاليين والقيام بمهامهما في إدارة الواحة بعد أن قرر شمس الدين الخطابي السنوسي مغادرتها، والهجرة نحو مصر، بدل البقاء لمقاومة الاحتلال الإيطالي الوشيك للكفرة⁽³⁾.

في 20 يناير 1931م احتلت القوات الإيطالية واحة الكفرة كما هو معلوم، وبدأت الأطراف المعنية وخاصة المصرية الاهتمام بالمشكلة أو المشاكل المترتبة عليها، وخاصة تدفق مئات اللاجئين على الواحات المصرية المتاخمة للحدود الليبية. فبتاريخ 5 فبراير 1931م أبلغ مأمور واحة سيوة محافظ الصحراء الغربية بكيفية احتلال الإيطاليين لواحة الكفرة، نقلاً عن بعض الفارين الليبيين الذين وصلوا سيوة يوم 3 فبراير 1931م، وقد ضمن البلاغ نقلاً عن ذات المصادر أن الإيطاليين احتلوا الكفرة بقوات كبيرة تتراوح ما بين 20 و 30 ألفاً، ونهبوا الكفرة حال اجتياحها، وقد وقع في أيديهم الكثير من الأسرى ممن لم يتمكنوا من الهرب، أو لم يجدوا إبلاً لنقل عائلاتهم وأغراضهم⁽⁴⁾.

وحال وجود مأمور مركز الواحات البحرية بواحة الفرافرة أوائل فبراير 1931م لاحظ وجود عربان كثيرين جاءوا من واحة الكفرة بقصد المهاجرة للقطر المصري، واستعلم من عمدة الفرافرة عن تاريخ وصولهم، وعرف أنهم حضروا أواخر يناير وبداية فبراير 1931م، وفهم من أحدهم ويدعى الحاج عبد الله البشاري المجري وهو أكبر تاجر بالكفرة أن الإيطاليين وصلوا مكاناً يقال له الضيغن (الزيغن) شمال الكفرة وعلى مسيرة أربعة أيام منها، وأنه حضر ومن معه بقصد المهاجرة؛ لعدم الرغبة في محاربة الإيطاليين، وأما من بقي بالكفرة سيحاربون الإيطاليين، ولقد طلب بعض هؤلاء العربان البقاء بصفة نهائية بالفرافرة، وطلب البعض الآخر الإقامة لمدة شهر إلى أن تتحسن حالة جمالم التي حضروا عليها، ولقد قام بالتفتيش على هؤلاء العربان لضبط ما يوجد معهم من الأسلحة، ولكنه لم يجد معهم شيئاً، وطلب من عمدة الفرافرة ضرورة التفتيش على كل من يحضر من الغرب مستقبلاً⁽⁵⁾.

وفور وصول هذه المعلومات إلى السلطات المصرية اتخذت إجراءات عدة للتعامل مع لاجئي الكفرة.

ويمكن أن نبوب الرسائل الرسمية وفق التالي:

1- بتاريخ 27 فبراير 1931م أرسلت مصلحة الحدود تلغرافاً مستعجلاً إلى محافظة الصحراء الجنوبية بالخارجة؛ لإرسال وبشكل فوري سيارات لواحة الداخلة لجمع معلومات عن وصول مهاجرين من الكفرة مؤخراً، وجمع معلومات تفصيلية عن هؤلاء اللاجئيين، ومعرفة ما إذا كان بعضهم أو جلهم قد قابل بعثة الصحراء المصرية عند أو قرب جبال العوينات⁽⁶⁾.

في اليوم التالي لوصول التلغراف السابق جاء الرد من محافظ الصحراء الجنوبية بالخارجة، حيث أفاد مصلحة الحدود بالقاهرة بوصول 137 شخصاً من قبائل مختلفة إلى واحة الداخلة 23-27 فبراير 1931م، بعد ما مات عدد منهم، مؤكداً على إمكانية أن يتضاعف عدد الواصلين الناجين المتوقع وصولهم، مؤكداً أيضاً على تفرق الفارين من أهالي الكفرة نحو بلاد السودان أو مصر، وأن السلطات قد قدمت الإسعافات والخدمات اللازمة لهؤلاء اللاجئيين؛ بل حاولت إسعاف من يتضورون جوعاً في الصحراء، رغم أن الكثيرين منهم قد لقوا حتفهم، بسبب الجوع والعطش رغم تقديم الإسعافات لهم⁽⁷⁾.

2- بتاريخ 2 مارس 1931م أرسل حسن بهجت قائم مقام محافظ الصحراء الجنوبية رسالة إلى المدير العام لمصلحة الحدود بوزارة الحربية والبحرية المصرية مبرزاً بعض الإجراءات التي كلف بها مأمور مركز الداخلة باتخاذها حيال لاجئي الكفرة منها:

رد مبلغ 20 جنيهها لأولئك اللاجئيين كثمان وقود السيارات، التي أسهمت في عملية إنقاذهم والاحتفاظ بأسلحتهم بالمركز حتى تعاد إليهم دون ضرائب، في حالة ما إذا قرروا العودة مجدداً إلى الكفرة⁽⁸⁾. ومن المعلوم أن تلك الأسلحة مع قلتها صدرت التعليمات - كما سنرى - بعدم إرجاعها إلى اللاجئيين على الإطلاق.

3- وبتاريخ 4 مارس 1931م أرسل رئيس ومفتش قائم مقام مفتش القسم الشرقي بمحافظة الصحراء الغربية محمد وصفي إلى محافظ الصحراء الغربية بمطروح كشفًا اعتمد فيه على التحريات التي قام بها مأمور الواحات البحرية بخصوص أسماء العرب المهمين أصحاب الكلمة النافذة، وقادة الجهاد ضد الإيطاليين، وأماكن تواجدهم بالأراضي المصرية، ومع احتمال مغادرة بعضهم العيونات إلى الداخلة، وأكد على تنفيذ رغبته بعدم السماح للعربان المهمين بالتوجه نحو دواخل مصر، والسماح للشخصيات التجارية والتي لا تشكل خطراً بالقيام بذلك مثل: الحاج عبد الله البشاري المجبري، الذي غادر واحة البحرية يوم 14 فبراير 1931م قاصداً القاهرة للبحث عن محل يقيم فيه، ومن ثم العودة لأخذ عائلته من الفرافرة⁽⁹⁾.

4- بناء على اقتراحات اللجنة المشكلة من قبل محافظ الصحراء الغربية بخصوص اللاجئين بتاريخ 6 مارس 1931م فقد اتخذت حزمة من الإجراءات منها: صرف 30 مليوناً ولمدة 45 يوماً من وصول اللاجئين لكل شخص يزيد عمره عن 12 سنة، و 15 لمن هم دون ذلك هذا من جهة، ومن جهة أخرى وفي أثناء هذه المدة يقوم مأمور البحرية بنقل من ليس لهم دواب إلى وادي النيل على ظهور الجمال، بواقع جمل لكل 3-4 أشخاص، وبما لا تزيد قيمته عن 80 جنيهاً مصرياً⁽¹⁰⁾.

5- بتاريخ 10 مارس 1931م أعد مأمور مركز الداخلة تقريراً وأرسله إلى محافظ الصحراء الجنوبية، وجاء فيه: أن عمليات الإنقاذ بدأت يوم 25 فبراير 1931م تقريباً، وحتى 10 مارس تاريخ كتابة التقرير وتمكن صحبة فريقه من إنقاذ قرابة 103 شخصاً معظمهم من النساء والأطفال، وأشار التقرير إلى أن مجموع من حضر من المهاجرين سواء الذين أسعفوا أو وصلوا لوحدهم 300 لاجئ من عدة قبائل، ذكر منها الفرجان والمغاربة، أدخل ثلثهم إلى مستشفى الداخلة لتلقى العلاج، وكانوا في حالة بائسة، وبسبب الجوع والعطش فقد الكثير من اللاجئين حياتهم، ولم يعط رقماً محدداً مكتفياً بالقول أنهم شاهدوا العديد من الجثث ملقاة على الطريق التي مروا منها، ناهيك عن من كان في الرمي الأخير ولم تجد محاولاتهم نفعاً لإنقاذه من الموت، حيث هلك قرابة الخمسين رأساً من جمالهم في طريق الفرار، ولم يصل معهم سوى 92 دابة معظمها من الإبل⁽¹¹⁾.

6- وبتاريخ 13 مارس 1931م أرسل قائم مقام محافظ الصحراء الغربية تقريراً إلى مدير عام مصلحة الحدود البحرية، ضمنه نتائج زيارته إلى الواحات البحرية والفرافرة، حيث وجد بالأولى 60 شخصاً، ووجد في الثانية 330 شخصاً تقريباً، وهم يقتاتون بما يجود به أهالي الواحات رغم مواردهم الزهيدة، وما تفضل به سمو الأمير عمر طوسون باشا، حيث أمر أن يوزع مبلغاً من المال يوازي 50 قرشاً صاعاً لكل شخص كمعونة عاجلة، مشدداً على أن الأسباب التي دعت لاتخاذ ما سبق أن اللاجئين كانوا معدمين وليس لديهم وسائل نقل، والواحات لا تستطيع تموينهم باستمرار، ولعدم وجود فرص عمل لهم⁽¹²⁾.

7- وبتاريخ 24 مارس 1931م أرسل محمد كمال الموصللي معاون مركز واحة الخارجة تقريراً إلى محافظ الصحراء الجنوبية، هذا التقرير تضمن عدة معلومات غاية في الأهمية، خاصة وأنه يتمحور حول إنقاذ زعيم من زعماء حركة

المقاومة في الكفرة صالح لطبوش ومرافقيه، فضلاً عن إثبات شهادة أدلى بها لطبوش حول ما دار في الأراضي الليبية قبل وأثناء وبعد احتلال الكفرة، فاستهل الموصلي تقريره بالحديث عن المجموعة التي أنقذتها مجموعة المساحة المصرية وهم عائلة ومعاوي لطبوش وعددهم 16 شخصاً، ثم ركز على التفاصيل التي أوردتها لطبوش عن رحلة العناء والمجرة من الكفرة لرفاقه ورفاق عبد الجليل سيف النصر وبقية لاجئي الكفرة، وتلك التي أوردتها حول احتلال الإيطاليين للكفرة ومراحل ذلك الاحتلال وآلياته واستعداد المجاهدين للمقاومة⁽¹³⁾.

وفي ذات اليوم الذي أُعد فيه تقرير الموصلي ووصل من ثم إلى الخارجية المصرية أرسل وزير الخارجية المصري عبد الفتاح يحيى إلى وزير الحربية والبحرية رسالة أثنى فيها على ما قامت به مصلحة الحدود من إجراءات إزاء لاجئي الكفرة، وطلب العمل بها دائماً، مبدياً موافقته على ما اتخذ من خطوات إسعافهم والخطوات التي تتبع حيال من قد يأتي مجدداً من حيث تفتيشهم وتجريدهم من السلاح، ثم إبعادهم إلى مناطق بعيدة عن خط الحدود بعداً كافياً يحول بينهم وبين تواجدهم في أماكن مناوئة للسلطات الإيطالية على أية صورة؛ حفاظاً على بقاء علاقات حسن الجوار على أحسن حال من الصفاء⁽¹⁴⁾.

8- كان يوم 25 مارس 1931م حافلاً بمراسلات تخص قضية احتلال الكفرة وما ترتب عليه من نتائج، منها خمس مراسلات مهمة، كانت الأولى منها قد تضمنت كشفاً أعده قائم مقام محافظ الصحراء الجنوبية، ضمنه معلومات مفادها أنه وصل إلى الواحات المصرية من المهاجرين الليبيين بعد احتلال الكفرة قرابة 745 شخصاً، تقاسمت واحتا الداخلة والفرافرة غالبيتهم، مقارنة بواحي الخارجة والبحرية، مصحوبين بحوالي 106 رأساً من الإبل⁽¹⁵⁾.

وأما الثانية فهي رسالة حسن بهجت قائم مقام محافظ الصحراء الجنوبية إلى مأمور مركز الداخلة رداً على رسالة الأخير المؤرخة في 21 مارس، فقد وافق على إعفاء المهاجرين من دفع رسوم جمركية على جمالهم بسبب الفقر والبؤس وكونها ما تبقى من أملاكهم، كما وافق على قطع الراتب والغذاء عنهم فور مبارحتهم للداخلة، وطلب القائم مقام إعدام الذخيرة بدفنها في حفرة عميقة، أما الأسلحة بما في ذلك أسلحة الزينة المضبوطة مع المهاجرين فأمر أن ترسل جميعها للمحافظة؛ لاتخاذ ما يلزم حيالها من إجراءات⁽¹⁶⁾.

وأشار في الثالثة قائم مقام محافظ الصحراء الجنوبية إلى المدير العام لمصلحة الحدود إلى كيفية وصول بعض اللاجئين للواحات المصرية، والجهود التي بذلت لإنقاذهم وما اتخذ إزائهم من إجراءات، وما قدم لهم من خدمات، والتي من بينها أنه لم تؤخذ رسوم جمركية من مهاجري واحة الكفرة؛ لأنهم في حالة من البؤس والفقر، واقترح القائم قام وقف صرف قيمة الغذاء النقدية عن المهاجرين حتى لا يقعدوا عن السعي وراء رزقهم ومعاشهم⁽¹⁷⁾.

واختصت الرابعة بموقف حكومة السودان من قضية مهاجري واحة الكفرة، فإنه بناء على رسالة السكرتير المدني بالخرطوم إلى وكيل حكومة السودان بالقاهرة بتاريخ 17 مارس 1931م والتي جاء فيها أن السودان لا يمكنه مساعدة اللاجئين السنوسيين الذين وصلوا العوينات مؤخراً، في حين أن تلك المساعدة ممكنة من قبل الجانب المصري⁽¹⁸⁾، فإن وكيل حكومة السودان بالقاهرة أحال مضمونها برسالة إلى مدير عام مصلحة الحدود بمصر

بتاريخ 21 مارس 1931م⁽¹⁹⁾؛ لذا فإن محمد توفيق وزير الحربية والبحرية المصري أرسل رسالة إلى وزير الخارجية المصري بتاريخ 25 مارس 1931م بشأن مهاجري واحة الكفرة المتضمنة رسالة وكيل حكومة السودان بالقاهرة وجاء فيها أن بعثة المساحة الصحراء المصرية التي كانت تعمل بجهات العوينات عثرت على 22 شخصاً آخرين من العربان الهاربين من الكفرة، وهم يتضورون جوعاً، وأنها سترسلهم بعد أيام قليلة إلى وادي حلفا، ويظهر أنهم ظلوا الطريق بعد أن كانوا يريدون واحة الخارجة، وأفادوا بوجود آخرين بالصحراء⁽²⁰⁾.

واختصت الخامسة بموقف المفوضية الإيطالية من تداعيات هجرة أهالي الكفرة إلى مصر، فخوفاً من وصول أخبار الفطاع الإيطالية بالكفرة للمسلمين في موسم الحج، واستناداً إلى تعليمات وزير الخارجية المصرية المرسله إلى وزير الحربية والبحرية المشار إليها آنفاً والمؤرخة في 24 مارس 1931م بضرورة إبعاد اللاجئين إلى مناطق بعيدة عن الحدود الغربية، أرسلت المفوضية الإيطالية بالقاهرة مذكرة إلى وزير الخارجية المصرية بتاريخ 25 مارس 1931م طلبت فيها منع الثوار الليبيين من الوصول إلى الحجاز ضمن قوافل الحجاج التي بدأت في مباحرة السويس نحو الحجاز، وشددت على ضرورة حصول المسافرين على جوازات سفر إيطالية، وتراخيص من القنصليات الإيطالية العاملة في القطر المصري⁽²¹⁾.

واستناداً على مذكرة المفوضية الإيطالية السالفة الذكر طلبت وزارة الخارجية المصرية من وزارة الداخلية بتاريخ 28 مارس 1931م العمل على تحقيق كل ما من شأنه عدم إثارة أية مشاكل مع الجانب الإيطالي، وإصدار الأوامر لمدراء المراكز بالوحدات لتلبية الطلبات الإيطالية السالفة الذكر دونما تأخير أو إبطاء⁽²²⁾.

9- في أواخر مارس 1931م انتهت مسألة إنقاذ اللاجئين، أو بالأحرى انتهت مسألة وصول الناجين منهم إلى الواحات المصرية، وبالتالي ركزت الرسائل الرسمية المصرية على كيفية التعامل مع هؤلاء اللاجئين، أو أعادت سرد الجهود التي بذلت لإنقاذهم، أو تضمنت تقديرات عن أعداد أولئك اللاجئين وتواريخ وصولهم للأراضي المصرية. كانت البداية بتقرير عبد الرحمن زهير مأمور الداخلة المرفوع بتاريخ 30 مارس 1931م إلى محافظ الجنوب، فقد تضمن معلومات عن وصول بعض اللاجئين إلى الأراضي المصرية، ومن بينهم عبد الجليل سيف النصر زعيم أولاد سليمان، الذي وصل إلى قرية موط قرب واحة الداخلة يوم 29 مارس 1931م ومعه عشرة أشخاص من عائلته ومرافقيه، وحال وصوله إلى الداخلة أخذت منه أسلحته، وبالتالي بلغ عدد من وصلوا إلى الداخلة حتى 29 مارس 339 شخصاً، منهم 122 رجلاً و108 امرأة و68 ولداً و43 بنتاً، أعمار هؤلاء اللاجئين تتراوح ما بين 4-55 سنة⁽²³⁾، وبالتالي يكون الشيوخ والأطفال حديثي الولادة أو من لا تزيد أعمارهم على ثلاث سنوات قد ماتوا في الطريق أو بقوا بالكفرة وقتلوا بعد ذلك.

أرسل عبد الرحمن زهير في اليوم التالي أي بتاريخ 31 مارس 1931م رسالة أخرى إلى محافظ الجنوب بشأن لاجئي الكفرة، أشار فيها إلى أن عدد من وصلوا إلى واحة الداخلة حتى يوم 19 مارس 326 شخصاً، وأن صالح لطيش دخل الصحراء ومن معه وتاهوا فيها، وشدد على أن سيارات المصلحة لا يمكنها الإتيان بهم لعدم صلاحيتها، مشيراً إلى طلب بعض مهاجري الكفرة السماح لهم بالتوجه نحو وادي النيل بحثاً عن فرص عمل لهم وبحثاً عن مراعى لإبلهم

ودواهم، في مقابل إبداء رغبة بعض اللاجئين بيع البعض من دواهم، وفي الوقت الذي استشار مأمور الداخلة حكومته في أخذ رسوم جمركية من أولئك اللاجئين من عدمه فإنه اقترح ضرورة الموافقة على طلبهم بمغادرة واحة الداخلة؛ لأنهم يشكلون عبئاً على خزانة المركز، فضلاً عن أن وجودهم قد يرفع أسعار الحاجيات الأساسية في الواحة، ويسبب تدمراً لدى سكانها⁽²⁴⁾.

أعطى مأمور مركز الداخلة الموافقة على اقتراحاته السابقة من قبل وزير الحربية والبحرية المصرية، كما يفهم من رسالة الأخير إلى وزير الخارجية المصرية بتاريخ 4 أبريل 1931م، مؤكداً على أنه تنفيذ لتعليمات الخارجية المصرية، فقد أصدرت مصلحة الحدود تعليماتها بأن يغادر كل اللاجئين بما فيهم صالح لطبوش الواحات في أقرب وقت إلى جهات وادي النيل، حتى يكونوا بعيدين عن خط الحدود، ووافقت مصلحة الحدود على صرف النظر عن الرسوم الجمركية المستحقة على الإبل التي قدم بها المهاجرون، وطلبت أن تعدم الذخيرة في حفرة عميقة جداً، حتى لا يصل إليها أحد⁽²⁵⁾.

في 7 أبريل 1931م أرسل وزير الحربية والبحرية رسالة أخرى إلى وزير الخارجية المصرية متضمنة تقرير مركز الحدود بواحة الداخلة، والذي أفاد بأن 13 شخصاً آخرين من بينهم عبد الجليل سيف النصر وصلوا الداخلة يوم 29 مارس 1931م، وقد طلب محافظ الصحراء الجنوبية بالخارجة من مصلحة الحدود التصريح له بترحيل المهاجرين غير المتيسر لهم سبل السفر على حساب الحكومة حتى وصولهم أقرب محطة للمواصلات، بحيث يتيسر لهم سبل السفر نحو المدن والأرياف والقرى المصرية على نهر النيل؛ فوافقت المصلحة على ذلك⁽²⁶⁾.

10- وفي ختام المراسلات الرسمية نختتم برواية مأمور قسم السلوم عن احتلال الإيطاليين للكفرة، وهي عبارة عن رسالة أرسلها إلى محافظ الصحراء الغربية بمطروح بتاريخ 9 أبريل 1931م وجاء فيها: أنه في أواخر ديسمبر 1930م تجمعت قوات إيطالية في سلا الواقعة غرب واحة أوجلة، وقامت باستكشاف الطرق المؤدية للكفرة، ووصلت إلى واحة ناموسة غرب الكفرة، لكنها فشلت في الوصول إلى الكفرة فعدت أدراجها، وفي شهر يناير سنة 1931م تحركت قوة إيطالية قوامها 7 آلاف جندي مع قوة أخرى من جالو، وتوجهت نحو الكفرة مزودة بذخيرة ومفونة، ووصلت إلى آبار الظغين (الزيعن) على بعد ثلاثة أيام من الكفرة، وهي لما عسكرت هناك كانت الطائرات الإيطالية تلقي على أهالي الكفرة المناشير التي تدعوهم إلى التسليم والاستسلام وعدم إبداء المقاومة، ولما لم تجد استجابة منهم عادت في اليوم التالي وقصفت بالقنابل العريان المتجمعين في جهات مختلفة من الواحة، فاستعد الأهالي وتمركزوا في مكان يقال له علم الهوارية (الهواري) وعددهم حوالي 880 مجاهداً، وأغلبهم من عرب الزوية؛ ونظراً لبدائية أسلحتهم هزموا أمام الإيطاليين وتشتت شملهم بفعل القصف الجوي، وكان رؤساء العريان بالكفرة صالح لطبوش وعبد الجليل سيف النصر ومحمد السنوسي شعيب المغربي، والجميع كانوا تحت إمرة حسونة بن علي الخطاب الأخواني (السنوسي)، وبالتالي تم للإيطاليين الاستيلاء على واحة الكفرة⁽²⁷⁾.

ثانيا: الوثائق الأهلية:

وهي إفادات لمواطنين من أهالي الكُفرة عن قضية احتلال الواحة، وما حدث فيها بعيد الاجتياح والسيطرة من قبل الإيطاليين، وتضمنتها وثائق الملف المعني بالدراسة. تطالعنا روايات من فروا من الكُفرة أو ممن تمكنت القوات الإيطالية من أسرهم، وحاولت فيما بعد الاستفادة منهم في إعادة اللاجئين أو محاولة إقناعهم بالعودة، وتلك الروايات أجمع معظمها على أن احتلال القوات الإيطالية لواحة الكُفرة والسيطرة عليها تماما كان يوم 1 رمضان 1349هـ/20 يناير 1931م⁽²⁸⁾. وهناك بعض الإفادات أكدت على أن احتلال الكُفرة كان في شعبان وليس في الأول من شهر رمضان⁽²⁹⁾، استنادا على أن الاحتلال الإيطالي للواحة جاء بعيد معركة الهواري الفاصلة مباشرة 29 شعبان 1349هـ/19 يناير 1931م.

ولو تركنا موضوع تاريخ احتلال الكُفرة من قبل القوات الإيطالية والاختلافات بين الرواة الليبيين بشأنه فإن كيفية الاحتلال ومراحله وتفاصيل هجرة العناء والهروب نحو مصر من الجحيم الذي عايشه أهل الكُفرة بعد تلك الحادثة فإننا نجد أن الأرشيف المصري والوحدة الأرشيفية المعنية هنا في الدراسة حبلى بالمعلومات، نستعرضها وفق التالي:

1- رواية المواطن النعاس بن محمد العربي الذي كان يقاوم مع صالح لطبوش، وكان قد أدلى بها حال وصوله إلى واحة الداخلة، وتضمنت معلومات هامة يمكن تلخيصها في الجوانب التالية:

الجانب الأول ويتعلق ببداية الاستعدادات الإيطالية لاحتلال الكُفرة، من خلال إرسال الآليات المصفحة والعربات العسكرية إلى منطقة الظعين أو آبار الزينغ شمالي الكُفرة وواحة تازربو غربي الكُفرة، ومقروناً ذلك بتحليق مكثف بين الفينة والفينة للطيران الحربي الإيطالي على واحة الكُفرة، والذي بدأ بطلعات استطلاعية وإلقاء المناشير الداعية للاستسلام، ثم إلى القصف مع إعلان أهالي الكُفرة المقاومة، ورفضهم للشروط الإيطالية، في وقت أخذت قوات المجاهدين في التمرکز في منطقة الهواري جنوبي آبار الزينغ للقاء الإيطاليين⁽³⁰⁾.

الجانب الثاني يورد صاحب الرواية تفاصيل هامة عن احتدام المعركة وانسحاب المجاهدين نحو الكُفرة؛ لنفاذ الذخيرة، وحالة الانسحاب تلك غير المنتظمة رافقها قصف مكثف من قبل الطائرات الإيطالية على المنسحبين نحو الكُفرة والفارين منها قبيل أو بعيد معرفتهم بهزيمة المجاهدين في الهواري. والرواية ترصد أن القصف والتتبع للهاريين نحو الأراضي المصرية أو نحو الحدود المصرية السودانية استمر لمدة أربعة أيام متتالية من احتلال الكُفرة، أي حتى يوم 24 يناير 1931م⁽³¹⁾.

والجانب الثالث صورت الرواية حالة مجموعة اللاجئين والهاريين من الكُفرة رفقة زعيمى المقاومة عبد الجليل سيف النصر وصالح لطبوش عند وصولهم إلى جبال العوينات يوم 26 يناير 1931م، وكان عددهم قرابة 500 شخص ثم تفرقهم بعد أسبوع من الإقامة بالمنطقة نحو دواخل مصر⁽³²⁾. وقد أشارت الوثائق المصرية الرسمية إلى كيفية وصولهم إلى واحات الداخلة والخارجة والفرافرة كما مر بنا في هذه الدراسة.

2- رواية عبد الحميد بومطاري الزوي، وهي تنطبق تمام الانطباق مع رواية النعاس العربي، إلا أن بومطاري أضاف أنه خرج من الكفرة في اليوم التالي مباشرة من معركة الهواري 19 يناير 1931م، وتحديدًا من منطقة التاج رفقة 400 شخص من عربان الكفرة بما فيهم عائلته ومعهم ثلاثون رجلاً، قاصدين أبو منقار (قرية تابعة لواحة الفرافرة قريبة من الحدود الليبية) في طريقهم نحو سيوة، وقد قصفتهم الطائرات الإيطالية إلا أن الأضرار البشرية كانت بسيطة مقارنة بالدواب التي قتل منها أربعة جمال، ووصلوا بومنقار بعد مسيرة ثلاثة عشر يوماً من وقت قيامهم من التاج، ومات منهم في الطريق بسبب العطش والبرد القارس خمسة عشر نفرًا تقريباً⁽³³⁾.

3- رواية المواطن الحاج سعيد حفيان المجبري لما حصل في الكفرة بعد احتلالها من قبل القوات الإيطالية⁽³⁴⁾، وهي رواية مهمة جداً لأنها تمثل شهادة حية لمواطن شاهد عن كذب لحظة دخول الإيطاليين الواحة، وشاهد ما قاموا به من أعمال وما اتخذوه من إجراءات، ونظراً لأهمية الرواية فإننا سنذكر تفاصيل هامة منها وفق التالي:

أ/ أشار حفيان إلى أن الحرب دارت في مكان يقال له الهواري، وأنه لما خشى على أسرته أرسلها إلى العوينات؛ تمهيداً لإرسالها إلى السودان إن لزم الأمر، في حين ظل هو بالكفرة لترتيب بعض الأمور ومن ثم اللحاق بأسرته، لكن قوات الإيطاليين فاجأته وألقت القبض عليه، ثم أرسلته مع قوة إيطالية لجلب أسرته ومن معهم من النساء والأطفال من العوينات وقد تم ذلك بالفعل.

ب/ الراوي أشار إلى أن القوات الإيطالية حال دخولها الكفرة نهب البيوت بما في ذلك بيته، وهدمت العديد من المباني ونحوها، وأقدمت على شنق مجموعة من أعيان الكفرة وأصحاب النفوذ فيها منهم: محمد عمر الفضيل، وحميدة الفضيل، ومحمد الضيفار، وأرسلت حسونة على الخطاب السنوسي جواً إلى بنغازي، في مقابل ذلك أجبرت قاضي الكفرة على السفر براً إلى بنغازي إمعاناً في إذلاله؛ ونظراً لكبر سنه فقد مات قبل أن يصل إليها.

ج/ الراوي أشار إلى أنه كان مرافقاً للحملة الإيطالية على الكفرة الشارف الغرياني، وقد ظل بها إلى أن غادرها رفقة كبار الشخصيات الإيطالية في ليبيا الذين دخلوا الكفرة مثل: غرسياني قائد القوات الإيطالية، وبادليو الحاكم العام الذي جاء يوم 24 يناير 1930م ليحتفل بالنصر الإيطالي بالكفرة.

د/ أرسل الإيطاليون دوريات عديدة لإرجاع الهارين من الكفرة إليها، وبنيت القوات الإيطالية سوراً حول بلدة التاج، وعينت محمد صالح البسكري الأخواني (السنوسي) خال محمد العابد قائمقاماً للكفرة، وضمت إليه مشايخ من قبيلة الزوية لخدمتها، وهم بوحليقة الدالية الزوي وأبو بكر عمار الزوي وطاهر بوجاد الله الزوي ومحمد عبد العاطي الزوي ومحمد جاب الله الزوي، وهؤلاء كانوا قد رافقوا الجيش الإيطالي عند دخوله الكفرة.

هـ/ واستناداً لرواية الحاج سعيد حفيان المجبري أنه بعد دخول الإيطاليين للواحة باثني عشر يوماً جُمع الأهالي في ميدان واسع، حيث تناوب كبار الضباط الإيطاليون ومدير الكفرة والمشايخ على إلقاء الكلمات على الحاضرين، تلك الكلمات أجمعت على نفي وتكذيب ادعاءات صالح لطيش وعبد الجليل سيف النصر بأن القوات الإيطالية عند احتلال الكفرة ستقتل وتحرق وتشنق من تظفر به من سكانها، مع أن الواقع كان عكس ذلك، فقد دخلت تلك

القوات ومعها قوافل التموين لإعطائه للمحتاجين والهاربين، الذين قد يقتلهم الجوع والعطش، مؤكداً على أن التجارة مفتوحة لمن أراد أن يتاجر، وأن هناك قوافل تموين ستحضر من إجدابيا للمحتاجين، كما أن للعائدين حق العودة إلى مزارعهم وممتلكاتهم، بشرط أن تكون عودتهم في بحر سنة، وإلا ستصادر منهم.

/ ذكر حفيان أن الإيطاليين يعاملون الأهالي معاملة طيبة، بدليل أنهم أرجعوا إليه ثلاثة جمال نخب منه أثناء الاحتلال، وسمح له بالسفر لغرض التجارة إلى مصر دون عائلته، التي احتجزت خوفاً من عدم رجوعه.

لقد كشفت الرواية السابقة عن معلومات غاية في الأهمية تمثلت في خوف الإيطاليين على سمعة بلادهم ومصالحهم جراء فظائعهم بالكفرة، هذا على وجه الخصوص، لكن الوثائق الأهلية على وجه العموم بينت الإجراءات التي اتخذتها السلطات الإيطالية بعد أن أسكتت صوت المقاومة في الكفرة، وبدأ يورقها جموع اللاجئين الفارين الذين هربوا ووصل الكثير منهم الأراضي المصرية، وهم في حالة من الملح والإعياء والتعب، ومن ثم كان هم الدعاية الإيطالية التخفيف من هيجان الرأي العام العربي والإسلامي وغضبه من الفظائع التي ارتكبتها القوات الإيطالية في حق سكان الكفرة العزل، هذا من جانب، ومن جانب آخر بذلت الجهود لإعادة الناس إلى الكفرة ومحاوله التأثير على الرأي العام العالمي بأن المجازر التي ارتكبت في الكفرة غير صحيحة بالمرة. وقد حاولت السلطات الإيطالية استغلال نفوذها على بعض الشخصيات الليبية القاطنة بالكفرة، سواء تلك التي حظيت بتولي مناصب قيادية، أو أعلنت ولاءها للإيطاليين، أو قدمت على ظهر الدبابات الإيطالية حال دخولها الكفرة، ويمكن أن نبوب ذلك وفق التالي:

1- بين أيدينا رسالة حررها عضو مجلس إدارة الكفرة المعين من قبل إيطاليا وهو الشيخ بوحليقة الدلالية بتاريخ 1 شوال 1349هـ/19 فبراير 1931م، ووجهها إلى عموم التجار الفارين من قبائل الزوية والمجابهة والتبو وغيرهم، أفاد فيها أن القوات الإيطالية عند دخولها الكفرة أغدقت على التجار والأهالي، وأمنت العائدين وقدمت الخدمات لمن عثرت عليه الدوريات الإيطالية، وفتحت الأسواق، وسمحت لمن أراد المهجرة لغرض التجارة بالمتاجرة في أي بلد⁽³⁵⁾. وفي خطوة من صاحب الرسالة لتشجيع التجار والناس على العودة أبلغهم بأن البضاعة غالية لكنها تشهد رواجاً، فذراع القماش بجميع أنواعه مثلاً يباع بثلاثة فرنكات، وسعر الشاي ثمانية ريالاً مجيدي، وسعر صرف المجيدي ستة فرنكات ونصف⁽³⁶⁾.

وبعيداً عن أساليب الإغراء في رسالة التاجر والشيخ بوحليقة الدلالية فإن الأخير استخدم أسلوب الوعيد والتهديد بإيعاز من قبل الإيطاليين بتأكيدده على أنه من يأتي من الفارين والهاربين له الأمن والاطمئنان، ومن يتأخر لا يلوم إلا نفسه، مشدداً على أنه يتعين على العائدين إلى الكفرة حال وصولهم ضرورة البقاء في أطراف الواحة، وعدم الرجوع إلى أهاليهم، قبل أخذ الإذن من مركز الحكم الإيطالي بالكفرة⁽³⁷⁾، وربما قصد من هذا الإجراء أخذ التصريحات اللازمة لدخول الكفرة، وتدوين أسماء العائدين في سجلات الحكومة، ناهيك عن اعتقال المطلوبين إن عادوا، وقبل أن يحتلوا بالأهالي في الكفرة.

2- بتاريخ 9 شوال 1349هـ/27 فبراير 1931م صدرت عن أعيان الكفرة رسالتان، أولاهما كانت مرسلة من قبل محمد صالح بن محمد البسكري قائم مقام الكفرة المعين من قبل إيطاليا، والأخير لما عين قائم مقاماً أصبح داعية لإيطاليا، وقد جاء في رسالته المعنية هنا إلى عبد الرحمن اشويب أحد الفارين من بطش الإيطاليين في الكفرة، حيث أكد البسكري أن الحياة بواحة الكفرة تحت الحكم الإيطالي جد مطمئنة، وأن السلطات الإيطالية تعامل الناس بكل احترام، ومن رجح من الفارين أسكنته في أملاكه، وجلبت بالمعروف من لم يرجع بعد، وأن التجار ومن بينهم أبناء عبد الرحمن اشويب عطية وسعد يمارسون عملهم التجاري، ويجلبون البضاعة إلى الكفرة، وبالتالي يتعين - حسب دعوة البسكري- على الفارين سرعة العودة إلى أملاكهم وممارسة حياتهم الطبيعية⁽³⁸⁾.

وأما ثانيهما فكانت مثل الرسالة السابقة في الشكل والمضمون مع اختلاف الأسماء فقط، مؤكداً هذا على أن الحرر للرسالتين كان إيطاليا أو متعاوناً مع الحكومة الإيطالية. كانت الرسالة هذه مرسلة من خير الله وحامد ابني الحاج عبد الرحمن من قبيلة الوشناتة إلى والدهما وأخوهما عطية وعمهما سعد بمصر، حيث أكدوا على أن الحكومة الإيطالية ما أتت إلا بالخير لأهالي الكفرة، حيث أمنت الناس وطلبت منهم العودة إلى ممتلكاتهم، وعدم الخوف من أي إجراء انتقامي قد يتخذ من قبل الدولة الإيطالية⁽³⁹⁾.

3- بتاريخ 10 شوال 1349هـ/28 فبراير 1931م حررت رسالتان أيضاً، كانتا حاملتين لذات المضامين فيما سبقها من رسائل، كتب أولهما عبد الله التاورغي وجمعة بن سعيد قادوح وأرسلها إلى جويكل وعبد الحفيظ ارفيق بمصر⁽⁴⁰⁾، وتضمنت تفاصيل مهمة نذكر منها مايلي:

أ/ الإيطاليون أكسوا العريان وأطعموا الجائع وأمنوا الناس على ممتلكاتهم وأرواحهم.

ب/ التجارة مفتوحة، والبضاعة غالية فذراع القماش بنصف مجيدي، ووقية السكر بأربعة ريالات مجيدي.

ج/ عينت السلطات الإيطالية سيدي محمد البسكري وكيلاً (قائم مقام) على الناس، والشيخ بوبكر بوعمر علي من أولاد عميرة، ومعه الشيخ محمد بوجبيلة على المطالب، والشيخ طاهر بوحيد الله على الرزق (ربما منطقة رزق)، والشيخ محمد بو عبد العاطي على بومة وأبومة.

ذيلت هذه الرسالة بكلمات صادرة من قبل إحدى العجائز وتدعى سالمة لقريب لها فر نحو مصر يدعى عبد الجليل بن عبد الكريم، داعية إياه للعودة والقيام بخدمتها ورعايتها شئونها، راجية إياه ضرورة الاستجابة للنداء بالعودة إلى الكفرة، لاسيما وأن الأخيرة تعيش حسب قولها في راحة وهناء⁽⁴¹⁾.

وأما ثانيهما فقد وقعت باسم عمر بن محمد اهلل وحامد عيسى شوم وأرسلت إلى الحاج عبد الرحمن بو اهلل والحاج عطية محمد وسعد وكافة عائلة اهلل الفارين من الكفرة، حيث جاء فيها أن الحكومة الإيطالية أعطت الناس الأمان، وأوصت برجوع الناس إلى أوطانهم لأجل الإصلاح، ودعوهم للعودة وعدم الخوف⁽⁴²⁾.

لقد عثرت في أرشيف وثائق وزارة الخارجية المصرية فيما يخص هذا الموضوع على وثيقة يتيمة، ولكن مضمونها عبر على أن اللاحثين رغم أنهم كانوا في وضع حرج إلا أنهم لم ينسوا رفاقهم في رحلة الهروب من جحيم الحرب في الكفرة، ومضمون الوثيقة عريضة مقدمة من مجموعة من أعيان قبيلتي المغاربة والفرجان إلى مأمور مركز الداخلة بتاريخ 31 مارس 1931م، داعين إياه للعمل من أجل إنقاذ صالح لطبوش، فالأخير حسب قول الموقعين على العريضة سافر من الكفرة يقصد مرجا (جنوب شرق العوينات)، لكنه وخلال مدة أربعة عشر يوماً لم يصلها، وظل الطريق فقرّر العودة إلى العوينات وجماله ماتت ومعه نحو 30 نفساً، وشدد الموقعون على أنهم مستعدون لرهن جمالهم، نظير إرسال سيارات الحكومة المصرية إلى العوينات، لإحضار لطبوش ورفاقه قبل أن يموتوا جوعاً وعطشاً⁽⁴³⁾.

ثالثاً: الخلاصة:

لقد اتضح أن ملف احتلال الكفرة وما يحتويه من وثائق هامة محفوظة في الأرشيف المصري جدير بالدراسة، والتحليل لمضامين تلك الوثائق. وإذا كانت هذه الدراسة قد ركزت على الجانب الوصفي أكثر من التحليلي فإنها تعد محاولة لفتح الطريق أمام بحثة آخرين للاستفادة من نصوص هذه الوثائق في أعمال علمية رائدة.

أشير إلى أن الوثائق بشقيها الرسمي والأهلي تمحورت حول مجموعة من المواضيع والقضايا الهامة، بحيث استعرضت بإيجاز الخطط الإيطالية للاستيلاء على الكفرة، ناهيك عن الاستعدادات البشرية والعسكرية وما قامت به القوات الإيطالية من تمهيد استخباراتي ودعائي واستطلاعي من الجو قبل الدخول في معركة فاصلة ونهائية مع المجاهدين. وتفاصيل تلك الاستعدادات والعمليات والاحتلال برمتها لم تكن بعيدة عن وصف من قاموا بالعمل نفسه، أو شاركوا فيه، ونعني بهم القادة الإيطاليين أمثال غراسياني، والضابط الكاتب دانتي ماريا تونينيتي المرافق للحملة على الكفرة⁽⁴⁴⁾.

عرجت تلك الوثائق المعنية على احتدام المعركة في منطقة الهواري شمالي الكفرة، واستماتة المجاهدين في الدفاع عن أنفسهم ونجوعهم. ولما انهزم المجاهدون انسحبوا إلى الكفرة، فوجدوا أن أهلها قد باسروا الرحيل والفرار منها قاصدين الأراضي المصرية، هنا حدا معظم المجاهدين حدوهم، بحيث لم يتمكن إلا النذر اليسير من النجاة في مقابل هلاك العشرات منهم، إما بفعل العوامل الطبيعية والصحراوية، وإما بفعل القنابل الإيطالية التي أمطروا بها من قبل الطائرات الإيطالية حال توجيههم نحو دول الجوار وعلى رأسها مصر، والمأساة لم تتوقف عند هذا، فإذا كانت الطائرات الإيطالية قد تبعت الفارين فإنها في الواقع حصدت آلاف الأرواح في داخل الكفرة والمناطق المجاورة لها خلال الشروع في غزو القوات الإيطالية للكفرة.

كشفت الوثائق المعنية جانباً كبيراً من اهتمام المسؤولين المصريين بأولئك اللاحثين، الذين وصل بعضهم إلى الواحات المصرية كالدخلة والخارجة والفرافرة وسيوة. ومع وجود العامل الإنساني المسيس ونتائجه المذهلة في إنقاذ الكثير من أولئك البؤساء إلا أن السلطات المصرية اتخذت إجراءاتها؛ للحيلولة دون بقاء أولئك اللاحثين على مقربة من حدود مصر مع ليبيا الخاضعة للحكم الإيطالي؛ حرصاً على دوام العلاقات مع الجانب الإيطالي، وخوفاً من توتر الأمن في الواحات المصرية، وما قد يترتب عليه من مشاكل للحكومة المصرية.

لم يكن الجانبان السوداني والإيطالي غائبين عن الساحة، فالحكومة السودانية طلبت رسمياً من المسؤولين المصريين العمل على إنقاذ اللاجئين الليبيين على الحدود المشتركة بين البلدين بالقرب من جبال العوينات، وأوضحت عدم مقدرتها على استضافتهم أو حتى الوصول إليهم مقارنة بالجانب المصري. أما الجانب الإيطالي فقد اهتم بالجانب المؤثر على المصالح الإيطالية بطبيعة الحال، فالطائرات الإيطالية فشلت في إبادة الفارين أو إرغام معظمهم على العودة⁽⁴⁵⁾. ولما نقل هؤلاء صورة فظائع إيطاليا بالكفرة للرأي العام العربي والإسلامي حال لقاءهم ببعض وسائل الإعلام في الواحات المصرية⁽⁴⁶⁾، فإن إيطاليا جن جنونها، وأبلغت الجانب المصري بضرورة منع اللاجئين من الإقامة في منطقة الحدود، وإعادة تم إليهم أو ترحيلهم نحو شرقي النيل، كما طالبت بمنح الليبيين من مغادرة الأراضي المصرية إلى الحجاز إلا بعد تسجيل أسمائهم في القنصليات الإيطالية العاملة في القطر المصري ومنحهم جوازات سفر إيطالية.

وتدعيماً لذلك فإنها حاولت إيهام من بقي من سكان الكفرة بنواياها الحسنة، فعينت القضاة والقائمقام والمدراء من أعيان الكفرة، بل وأرسلت عبر هؤلاء وغيرهم رسائل للفران تشجعهم على العودة إلى الكفرة والعيش بسلام واطمئنان تحت الحكم الإيطالي⁽⁴⁷⁾.

وهكذا كان سقوط واحة الكفرة مدوياً ليس فقط على مسار حركة المقاومة المسلحة، من حيث حرمانها من مصادر إمدادها الخلفية، والإيحاء للناس بأن الاحتلال الإيطالي أصبح واقعاً ملموساً، وأسهم في حصار الجيب الأخير للمقاومة الوطنية بالجبل الأخضر وحسب، بل كان مدوياً في الأوساط الإيطالية والمصرية، فمصر استراتيجياً وأمنياً اهتم مسئولوها بشكل ملموس بالمسألة؛ نظراً لعدة أسباب من بينها وصول الإيطاليين للكفرة أكد لأولئك المسؤولين أن هناك خطراً وشيكاً اقترب من الحدود الجنوبية الغربية المصرية، وربما يعرقل عملية الاستكشافات التي تجريها مصلحة المساحة في العوينات وما جاورها، لإثبات مصرية تلك المناطق، وما قد ينتج عنه من نزاع مع إيطاليا شبيه بالنزاع حول الجغبوب، والذي حسم باتفاق 6 ديسمبر 1925م. كما أن السلطات المصرية كانت تخشى من حدوث أزمات مع الجانب الإيطالي بشأن اللاجئين الجدد الذين وصلوا إلى الواحات المصرية، وهي التي كانت تعايش أزمة حقيقية مع الإيطاليين بشأن المهاجرين الليبيين، الذين استقروا في مدن الساحل أو مدن النيل المصريتين، وتخشى إيطاليا من أنشطتهم المختلفة، وبالتالي جاءت الوثائق كما قلنا حبلية بالجديد والمهم لدارسي تاريخ ليبيا أثناء فترة الحكم الإيطالي بشكل عام واحتلال الكفرة بشكل خاص.

الهوامش

- ⁰¹ للمزيد عن واحة الكفرة وعلاقتها بالوحدات المجاورة انظر: أحمد حسنين باشا، رحله في صحراء ليبيا، دن، القاهرة، 1926، ص92-94، 190-200.
- ⁰² وثائق وزارة الخارجية المصرية غير المنشورة، ملف احتلال الكفرة، الكود الأرشيفي 0078-011561 دار الكتب والوثائق القومية القاهرة، منشور المركز دلسا بوتينو بيتر بادوليو Marquis Delsa Bottineau Pietro Badoglio والي قطري طرابلس وبنغازي مارشال إيطاليا إلى أهالي وسكان الكفرة من زوية وغيرهم بتاريخ 10 ربيع الآخرة 1349هـ/ 4 سبتمبر 1930.
- ⁰³ صورة الإخبارية عن الحالة في الكفرة وأعمال الطلبة ومرسلة من بكباشي مأمور سيوة إلى محافظ الصحراء الغربية، وقد نقلت الرسالة نصا مع صورة من منشور بادوليو المشار إليه مرفقتين برسالة وزير الحربية والبحرية المصرية إلى وزير خارجية بلاده بتاريخ 5 نوفمبر 1930م.
- ⁰⁴ رسالة وزير الحربية والبحرية محمد توفيق إلى وزير الخارجية المصرية بتاريخ 24 فبراير 1931م عن احتلال الإيطاليين لواحة الكفرة مرفق بها بلاغ عن كيفية دخول القوة الإيطالية إلى الكفرة مقدم من البكباشي مأمور سيوة عبد الرازق محمد المرسل إلى محافظ الصحراء الغربية بتاريخ 5 فبراير 1931م.
- ⁰⁵ تقرير مأمور الوحدات البحرية عن زيارته للفرافرة بداية فبراير 1931م المرفوع إلى قائممقام مفتش القسم الشرقي بمحافظة الصحراء الغربية محمد وصفي كما تضمنته رسالة الأخير إلى محافظ الصحراء الغربية برج العرب بتاريخ 4 مارس 1931م.
- ⁰⁶ تلغراف مستعجل مرسل من مصلحة الحدود إلى محافظة الصحراء الجنوبية بالخارجة بتاريخ 27 فبراير 1931م.
- ⁰⁷ رد محافظ الصحراء الجنوبية بالخارجة بتلغراف إلى مصلحة الحدود بالقاهرة بتاريخ 28 فبراير 1931. وقد تضمنت رسالة وزير الحربية والبحرية إلى وزير خارجية بلاده بتاريخ 1 مارس 1931م على ما أكده محافظ الصحراء الجنوبية. وفيما يخص تفاصيل جهود الإنقاذ المصرية في إسعاف اللاجئين أو دفن من مات منهم انظر: رسالة إبراهيم مرسل بتاريخ 2 مارس 1931م إلى مأمور مركز الداخلة.
- ⁰⁸ وفي رسالة حسن بيجت قائممقام محافظ الصحراء الجنوبية إلى المدير العام لمصلحة الحدود بوزارة الحربية والبحرية بتاريخ 2 مارس 1931م، وعد حسن بيجت في رسالته أنه سينور الداخلة يوم 4 مارس 1931م للاطلاع عن كثب على الأحوال العامة في الواحة وكل ما يتعلق بلاجئي الكفرة.
- ⁰⁹ رسالة قائممقام مفتش القسم الشرقي بمحافظة الصحراء الغربية محمد وصفي إلى محافظ الصحراء الغربية بمطروح بتاريخ 4 مارس 1931م. يذكر أنه كان من أبرز أولئك الزعماء عبد الجليل سيف النصر، وصالح لطيش ومحمد بن عمر الفضيل، وهؤلاء كانوا بالعوينات.
- ¹⁰ اقتراحات اللجنة المشكلة من قبل محافظ الصحراء الغربية بخصوص اللاجئين الموافق 6 مارس 1931م. واللجنة كانت برئاسة جرين بك Mr. Green Bek محافظ الصحراء الغربية والقائمقام محمد وصفي بك مفتش القسم الشرقي والطبيب والمأمور محمود عبد المجيد شمس الدين مأمور واحة البحرية.
- ¹¹ تقرير مأمور مركز واحة الداخلة إلى محافظ الصحراء الجنوبية بتاريخ 10 مارس 1931م.
- ¹² تقرير قائممقام محافظ الصحراء الغربية إلى مدير عام مصلحة الحدود البحرية بتاريخ 13 مارس 1931م. وانظر أيضا: رسالة وزير الحربية والبحرية المصري محمد توفيق إلى وزير خارجية بلاده بتاريخ 17 مارس 1931م أبلغه خلالها تقرير محافظ الصحراء الغربية الذي أرسله إلى مصلحة الحدود من الواحات البحرية بتاريخ 13 مارس 1931م.
- ¹³ تقرير محمد كمال الموصللي معاون مركز الخارجة المرفوع بتاريخ 24 مارس 1931م إلى محافظ الصحراء الجنوبية والمتضمن إفادة بعض اللاجئين من الكفرة وعلى رأسهم صالح لطيش زعيم قبيلة المغاربة.
- ¹⁴ رسالة وزير الخارجية المصري عبد الفتاح يحيى إلى وزير الحربية والبحرية بتاريخ 24 مارس 1931م.

- ¹⁵ كشف مؤرخ في 25 مارس 1931م أعد من قبل قائم مقام محافظ الصحراء الجنوبية. ويذكر أن السلطات المصرية كانت تصرف للاجئين راتب غذاء يومي طيلة بقائهم بالحدود قطع لما رحلوا إلى وادي النيل واختلطوا في المجتمع المصري انظر: رسالة المدير العام للمعني بتاريخ 30 مارس 1931م.
- ¹⁶ رسالة حسن بيجت قائم مقام محافظ الصحراء الجنوبية إلى مأمور مركز الداخلة من الخارجة بتاريخ 25 مارس 1931م.
- ¹⁷ رسالة قائم مقام محافظ الصحراء الجنوبية إلى المدير العام لمصلحة الحدود بتاريخ 25 مارس 1931م.
- ¹⁸ رسالة السكرتير المدني بالخرطوم إلى وكيل حكومة السودان بالقاهرة بتاريخ 17 مارس 1931م.
- ¹⁹ رسالة وكيل حكومة السودان بالقاهرة إلى مدير عام مصلحة الحدود بمصر بتاريخ 21 مارس 1931م.
- ²⁰ رسالة محمد توفيق وزير الحربية والبحرية المصري إلى وزير الخارجية المصري بتاريخ 25 مارس 1931م بشأن مهاجري الكفرة. وتضمنت الرسالة السابقة ثناء على جهود محافظة الصحراء الجنوبية في إنقاذ لطيوش ومن معه وإرسال المؤن والأغذية والمياه لمن بقي بالصحراء.
- ²¹ مذكرة المفوضية الإيطالية بالقاهرة إلى وزير الخارجية المصرية بتاريخ 25 مارس 1931م.
- ²² رسالة وزير الخارجية عبد الفتاح يحيى إلى وزير الداخلية المصرية بتاريخ 28 مارس 1931م. لقد اتخذت وزارة الداخلية إجراءاتها بالخصوص مع قسم الجوازات بإدارة عموم الأمن لمعرفة كيفية تقديم المطلوب، وأفاد قسم البسبورتات (الجوازات) إلى أن من الصعوبة بمكان التفريق بين المسافرين الطرابلسي العادي من الحاج، ناهيك عن قلة الموظفين والتكاليف الباهظة التي ستحملها الخزينة المصرية بالخصوص لفحص التأشيرات الإيطالية مع الحالة الاقتصادية الصعبة التي تمر بها مصر، فضلاً عن المشاكل التي تنجم على اعتقال المطلوبين للحاجب الإيطالي أو تسليم من لم يثبت عدم حصوله على التأشيرة الإيطالية، مقترحاً أن تبلغ شركات الملاحة بين السويس والحجاز بالألا تسمح بنزول أي من الرعايا الإيطاليين إلا إذا كان عنده تأشيرة إيطالية، وبالتالي تتصل الحكومة الإيطالية بشركات السياحة تلك، وتحمل النفقات المالية والمسئولية الكاملة إزاء أي من الأشخاص، الذين يوقفون ثم يعتقلون انظر: رسالة رئيس قسم البسبورتات إلى مدير عموم الأمن العام بوزارة الداخلية بتاريخ 12 أبريل 1931م. وقد أحال وكيل الداخلية تلك الاقتراحات بتاريخ 14 أبريل 1931م إلى وكيل وزارة الخارجية المصرية لاتخاذ الإجراء اللازم من حيث اعتماد الاقتراحات أو رفضها.
- ²³ تقرير مأمور الداخلة عبد الرحمن زهير المرفوع بتاريخ 30 مارس 1931م إلى محافظ الجنوب. وانظر أيضاً: رسالة قائم مقام محافظ الجنوب إلى المدير العام لمصلحة الحدود بتاريخ 2 أبريل 1931م بشأن تقرير عبد الرحمن زهير المؤرخ في 30 مارس 1931م.
- ²⁴ رسالة عبد الرحمن زهير مأمور مركز الداخلة إلى محافظ الجنوب بتاريخ 31 مارس 1931م.
- ²⁵ رسالة وزير الحربية والبحرية المصرية إلى وزير الخارجية المصرية بتاريخ 4 أبريل 1931. وانظر تعليمات المدير العام لمصلحة الحدود المرسله إلى محافظ الصحراء الجنوبية بالخارجة تنفيذا لأوامر الخارجية المصرية بإبعاد المهاجرين عن الحدود حتى لا يقوموا بأي عمل عدائي ضد السلطات الإيطالية في ليبيا رسالة المدير العام للمعني بتاريخ 30 مارس 1931م.
- ²⁶ رسالة وزير الحربية والبحرية محمد توفيق بتاريخ 7 أبريل 1931م إلى وزير الخارجية المصرية.
- ²⁷ رسالة أرسلها مأمور قسم السلوم إلى محافظ الصحراء الغربية بمطروح بتاريخ 9 أبريل 1931م.
- ²⁸ رسالة عبد الله التاورغي وجمعة بن سعيد قادوح بتاريخ 10 شوال 1349هـ / 28 فبراير 1931م إلى جويكل وعبد الحفيظ ارفيق بمصر، وانظر أيضاً: رسالة عمر بن محمد اهليل وحامد عيسى شوم بتاريخ 10 شوال 1349هـ / 28 فبراير 1931م إلى الحاج عبد الرحمن بو اهليل والحاج عطية محمد وسعد وكافة عيلة هليل.
- ²⁹ رسالة محمد صالح البسكري إلى عبد الرحمن اشويب بتاريخ 9 شوال 1349هـ / 27 فبراير 1931م.
- ³⁰ أقوال النعاس بن محمد العريبي الذي كان يقاوم مع صالح لطيوش.
- ³¹ المصدر نفسه.
- ³² المصدر نفسه.
- ³³ رواية عبد الحميد بومطاري الزوي غير مؤرخة.
- ³⁴ رواية سعيد حفيان المجري أحد أعيان الكفرة عن احتلال الإيطاليين لواحة الكفرة بدون تاريخ.

- ⁰³⁵ رسالة بوخليفة الدلالية بتاريخ 1 شوال 1349هـ / 19 فبراير 1931م إلى عموم التجار الفارين من ازوية والمجبرة والتبو وغيرهم.
- ⁰³⁶ المصدر نفسه.
- ⁰³⁷ المصدر نفسه.
- ⁰³⁸ رسالة محمد صالح البسكري إلى عبد الرحمن اشويب بتاريخ 9 شوال 1349هـ / 27 فبراير 1931م.
- ⁰³⁹ رسالة خير الله وحامد ابني الحاج عبد الرحمن من قبيلة الوشنانة إلى والدهما وأخوهما عطية وعمهما سعد بتاريخ 9 شوال 1349هـ / 27 فبراير 1931م. لكن نهاية رسالتهم كانت تكشف عن وضع صعب كان سكان الكفرة يعيشونه، فقد ورد في آخر الرسالة أن الأمانة التي لمحمد يضعها في أقمشتهم المرسله إليهم لأنهم عريانين.
- ⁰⁴⁰ رسالة عبد الله التاورغي وجمعة بن سعيد قادوح بتاريخ 10 شوال 1349هـ / 28 فبراير 1931م إلى جويكل وعبد الحفيظ ارفيق بمصر.
- ⁰⁴¹ المصدر نفسه.
- ⁰⁴² رسالة عمر بن محمد اهليل وحامد عيسى شوم بتاريخ 10 شوال 1349هـ / 28 فبراير 1931م إلى الحاج عبد الرحمن بو اهليل والحاج عطية محمد وسعد وكافة عيلة هليل. واختتمت الرسالة بضرورة التعجيل بإرسال أمانات بعض الناس مثل عمر حسن الشليف وامرأة تدعى هند.
- ⁰⁴³ عريضة مقدمة من مجموعة من أعيان قبيلتي المغاربة والفرجان إلى مأمور مركز الداخلة بتاريخ 31 مارس 1931م لإنقاذ صالح لطويش. للمزيد عن قصة وصول لطويش إلى مصر وكذا عبد الجليل سيف النصر يجد القارئ في كتاب أنجيلو ديل بوكا معلومات غاية في الدقة، تحصل عليها من أرشيف المفوضية الإيطالية في مصر، منها ما ذكره على أن صالح لطويش بعد أن وصل العوينات عمل بنصيحة دليل خائن أخطأ الطريق مع قومه للوصول إلى مصر، فقد تاه في الطريق لمدة سبعين يوماً، حكى لطويش عن مرارة تلك الأيام بذكره أنهم كانوا يقومون بذبح القليل من الإبل؛ ليستخلصوا من مئانتها القليل من السائل الذي كان يوزع على من هم أشد عطشا لإنقاذهم من موت محقق، وقضى من هؤلاء المنكوبين قرابة 170 بسبب العطش، وكان الناجون سيموتون حتما لو لم يتحصلوا في مكان على كيس من الدقيق وآخر من السكر والشاي، ولما وصلوا إلى بو منقار مات منهم 17 إنسانا آخرين بسبب إسهال شديد نتيجة الإقبال الكثير على الطعام بعد حرمان طويل. وفي النهاية أبصرهم عن بعد دورية من الجنود الانكليز فقامت بتجريدهم من أسلحتهم ووجهتهم إلى نقطة الحدود أبو منقار، حيث تم ترحيلهم في سيارة حسب طلبهم إلى وادي النيل، حيث حطوا رحالهم في المنيا في أرض لعلي بك المصري الحامي الكبير للخارجين من الليبيين. وفيما يخص عبد الجليل سيف النصر فإن رحلتهم لم تكن مأسوية مثل رحلة لطويش، فقد وصلوا إلى العوينات وآبار المرقى (مرجا)، وتاهوا في الحدود بين مصر والسودان لكن سرعان ما عثرت عليهم دوريات إنجليزية مصرية وبعثت بهم إلى المنيا. انظر: أنجيلو ديل بوكا، الإيطاليون في ليبيا، الجزء الثاني، ترجمة: محمود على النائب، مراجعة: عمر محمد الباروني، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1995، ص 253-254.
- ⁰⁴⁴ انظر تفاصيل عمليات احتلال الكفرة في: رودلفو غراسياني، برقة الهادئة، ترجمة: إبراهيم سالم بن عامر، مصراتة، منشورات الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط/4، 1998م ص 163-203؛ أيضا: دانتي ماريا تونينيتي، الكفرة الغامضة، ترجمة وتقديم وتعليق: وهي أحمد البوري، مراجعة: صلاح الدين حسن السوري، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ط/1، 2005، ص 55-61، 100-127.
- ⁰⁴⁵ تونينيتي، مصدر سابق، ص 141-147.
- ⁰⁴⁶ ذكر بوكا في كتابه المشار إليه نقلا عن شهادة ليبي زار تازروبو قادما من الكفرة بعد الغارة الإيطالية على تازروبو 31 يوليو 1930م أن القنابل التي ألقتها الطائرات على تازروبو كان بها غازات سامة، فالضحايا حسب الراوي غطت أجسادهم قروح وأحدثت فيهم حروقا شديدة، وبعض أجساد المصابين اعترها في الساعات الأولى لوقوع الغارة انتفاخات واسعة، كانت تنفجر بعد أيام بسائل لا لون له، ويبقى اللحم السليم من الجلد حيا متقرحا، انظر: بوكا، مصدر سابق، ص 248. وللمزيد عن الفظائع التي ارتكبت في حق أهالي الكفرة وما جاورهم من واحات ومناطق أنظر شهادة قائد العمليات الإيطالية نفسه الجنرال غراسياني في كتابه السالف الذكر أنظر بالخصوص الصفحات 163-196.
- ⁰⁴⁷ تحصلت إيطاليا من عملائها ومن كانوا ينتظرون احتلالها للكفرة ومن غرقم الرسائل المعنية على اتصالات تؤكد نيتهم العودة إلى الكفرة، ونصوص تلك الرسائل لا توجد في وثائق الأرشيف المصري، ولكنها منشورة في كتاب غراسياني المشار إليه في هذه الدراسة انظر الصفحات 200-203 من ذات الكتاب.